الدكتورة نور

المهنة: طبيبة عامة

السن: 37 عاماً

"عم نعالج الناس بصرف النظر عن الهوية."

تعمل الدكتورة نور، وهي طبيبة عامة، في مشفىً ميداني بسوريا قرب الحدود التركية–السورية. وهي والمشفى الذي تعمل به عُرضةٌ باستمرار للقصف الجوي وخطرِ السيارات المفخخة. وللأسف، فقد خَبِرتْ هذين الخطرين كليهما بشكلٍ مباشر. إذ تعرَّضَ المشفى الميداني لخمس هجماتٍ متفرقة، بالرغم من أن في المنطقة أهدافاً عسكريةً كثيرة. وفضلاً عن قلقها من الأخطار التي يمثلها النظام، تقول الدكتورة نور إنها وزملاءها قلقون أيضاً من التنظيم الذي أعلن نفسَه دولةً إسلامية وهدَد وخطفَ أطباء.

خلال هجوم بسيارةٍ مفخخة كانت مركونةً في موقف السيارات بالمشفى الميداني، تذكر الدكتورة نور كيف أنها سمعت أولَ انفجار وصارت ترجف بشدة، وشعرت بالعجز عن مواجهة ما نجم عن الانفجار من مشاهدَ مرعبة وإصابات. وتصف اهتزازَ النوافذ، وكانت تُدرك الرعبَ الذي ينتظرها هناك في وحدة الطوارئ. لكن، بالرغم من ترددها، تغلَّبَ إحساسُها بالواجب على مخاوفها.

أتى قرار الدكتورة نور دراسة الطب من إدراكها أنّ في استطاعتها استخدامَ مهاراتِها لمساعدة الناس –وهو ما تعتبره "أعظم شِي بالدنيا." وبالرغم من سعادتها باختيارها هذه المهنة، شعرت كذلك بكآبةٍ وصدمةٍ شديدتين مِن كل ما رأت مِن جراح الحرب وكلِ مَن عالجت مِن مصابين. تقول "صِرتْ إنسى وعَصِّبْ، وأحيانا إبنَس ... صِرتْ شوف الموت كتير أريب مِني."

تذكِّرنا تجربة الدكتورة نور تذكرةً قوية بأن أمثالَها من الأطباء لا يعالجون أمراضاً أو إصاباتٍ بسيطة – فهم يتعاملون مع جروحِ حرب مأساوية ومميتة. فلدى وصولها إلى المشفى الميداني، كان أولَ ما رأته طفلاً ميتاً. وعندما رفعتْ عنه الغطاء، رأت رأسَه مشوهاً جداً. ولم تتمكن من العمل لأسبوع بعد هذا الذي رأته؛ لكنها قالت إنها اعتادت بعد هذه التجربة على هكذا إصابات.

كما تشكو الحاجة إلى تدريب الأطباء بسوريا تدريباً أفضل، لأن الكثير من هؤلاء يعمل بعيداً جداً عن مستوى خبرتِه لِقلةِ الكادر الطبي الذي بقي في البلاد. فعندما بدأ الصراع كان بعضُ هؤلاء الأطباء ما يزالون طلبة في كلية الطب أو في طور إتمام الاختصاص –لكنهم الآن يُجرون جراحاتِ جد معقدة دون أن يكونَ لديهم تدريبٌ مناسب على ذلك.

شهدتْ البلدة التي تعيش بها الدكتورة نور مواجهاتٍ متقطعة بين المعارضة وجيش النظام، ودفعها العنف إلى الهرب إلى تركيا فترةً من الوقت ثم عادت مؤخراً إلى بلدتها. كانت نقاط التفتيش في بداية الصراع تعطلها عن عملها باستمرار عندما كانت تعمل في عيادة. فقد أقيمت نقطةُ تفتيش بين بيتها وبين العيادة، وكان ينتابها القلق من أن تتعرضَ للتوقيف هناك. ما أدى في النهاية إلى فقدانها عملَها لكثرة تغيُبِها وعدمِ حضورِها يوم تجديدِ عقدِها.

وها هي ذي اليوم تواصل عملَها الشجاع في إنقاذ حياة المصابين بالمشفى الميداني، بتصميمٍ ثابت على إنقاذ أكبرِ عددٍ ممكن تستطيع إنقاذَه من أبناء بلدِها.